حركة التحرر الوطني
كما تنعكس في الأدب العربي اللبناني

بقلم حسين مروّه

عضو وفد لبنان

- ١ -

في مقدمة هذا التقرير لا بد من ايضاح حقيقتين متلازمتين تكمل احداهما الاخرى بحيث تؤلفان – بالنهاية – حقيقة واحدة :

أولا : ان الكلام على حركة التحرر الوطني بالنسبة للبنان ، مرتبط ارتباطا عضويا وتاريخيا بالكلام على حركة التحرر الوطني بالنسبة للبلدان العربية جمعاء . فلبنان بلد عربي لغة وثقافة وتاريخا وجغرافية وتكاملا اقتصاديا ومصيرا . وهو – لذلك – لم يتفرد بدور مستقل تماما في تاريخ الحركة الوطنية التحررية منذ أبعد مراحلها حتى المرحلة الحاضرة ، بل كان دوره دائما متصلا بدور كل بلد عربي آخر ، رغم التفاوت في مستوى هذا البلد العربي وذاك ، وفي هذه المرحلة التاريخية وتلك ، من حيث حجم المشاركة الفعالة ونوعيتها وآثارها في الكفاح التحرري .

ثانيا : انه – بطبيعة ما تقتضيه الحقيقة الاولى – كان الادب اللبناني ، في مختلف مراحل الحركة التحررية ، جزءا من الادب العربي كله ، من حيث انعكاسات هذه الحركة في نتاجه ، شعرا كان أم قصة أم رواية أم مقالة أم مسرحية أم خطابة ، ومن حيث فاعليته في حركة النضال الوطني التحرري اجمالا .

- ٢ -

بعد هذه المقدمة الضرورية ، نشرع في النظر الى تاريخ الكفاح العربي في سبيل الاستقلال والتحرر ، والى تاريخ العلاقة بين حركة التحرر العربية والحركات التحررية في سائر بلدان القارتين : آسية وافريقية ، بل العلاقة بينها وبين حركة التحرر العالمية اطلاقا ، لنخلص من ذلك الى رؤية الادب العربي ، واللبناني بخاصة ، في تجاوبه مع حركة هذا التاريخ الكفاحي الطويل .

معارك الحرية في بلادنا العربية متعددة المراحل ، متعددة الاشكال والصيغ والمضامين ، وفقا لتعدد ظروف العدوان في التاريخ ، منذ القرون الوسطى الى هذه السنوات من القرن العشرين . ولكن رغم هذا التعدد ، كان الهدف دائما واحدا ، هو مقاومة العدوان ، وبالنهاية : امتلاك المصير الوطني بحرية لا يخالطها استعباد ولا اذلال . كان ذلك منذ غارة المغول البربرية التي اجتاحت رقعة وسيعة من الارض العربية ، واجتاحت مع ذلك جزءا عظيما من كنوز التراث الثقافي والحضاري الانساني الذي تعهده العرب ، ابان نهضتهم الكبرى بعد الاسلام ، بالاحياء والتطوير والتوسيع ، وطبع جانب منه بطابعهم الفكري والروحي .

على ان مقاومة العرب لهذه الغارة العاصفة ، لم تكن شيئا كبيرا بالقياس الى تلك المقاومة البطولية الضارية التي وقفت نحوا من مئتي سنة بوجه الحملة الصليبية الآتية من الغرب تحت ستار الدين ، ولم يكن للدين منها نصيب سوى اتخاذه وسيلة الى أغراض كانت هي البذور الاولى للاستعمار الغربي في بلاد الشرق ، وكانت هذه الاغراض اقتصادية في جوهرها ، وسياسية وعسكرية في وسائلها .

وجاء الاستعمار التركي العثماني لبلاد العرب ، تحت ستار الدين كذلك ، ورغم اقامته فيها أجيالا طوالا ، لقي أشكالا من المقاومة في بلداننا ولا سيما لبنان واليمن في بعض العهود ، ثم اتسعت مسافة المعركة ضد الامبراطورية العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حتى الحرب العالمية الاولى ، بحيث شملت المعركة أكثر أجزاء الارض العربية الاسيوية والافريقية ، الى أن انتهى الاستعمار العثماني ، وحل محله الاستعمار الغربي من جديد ، وافتتحت في بلاد العرب ، ومنها لبنان ، معركة تحررية جديدة ، وتحولت المقاومة ضد الفرنسيين المحتلين في لبنان وسورية بالاضافة الى بلدان المغرب العربي (تونس ، الجزائر ، المغرب) ، وضد المستعمرين الانكليز في مصر وفلسطين والعراق وأقطار الخليج العربي وجنوب شبه الجزيرة العربية ، وضد المستعمرين الايطاليين في ليبيا – تحولت المقاومة هذه ، في معظم البلدان العربية ، الى ثورات مسلحة أو انتفاضات دموية ، حتى أحرز لبنان وشقيقته سوريا استقلالهما الوطني ، في مطالع الاربعينات ، قبل أن تخمد نهائيا نار الحرب العالمية الاولى . وبقيت بلدان عربية كثيرة تكافح الاستعمار القديم بمختلف أشكاله ، حتى أوائل الخمسينات ، اذ قامت الثورة المصرية (٢٣ يوليو ١٩٥٢) ، وما استقرت هذه الثورة ، وتمكنت جذورها من الثبات والتطور حتى اخذ يتحول مجراها الى الكفاح ضد الاستعمار القديم والاستعمار الجديد معا ، وبذلك أخذت الثورة العربية ، بمختلف جبهاتها ، تتحول الى هذا المجرى نفسه : في لبنان ، وسورية ، والعراق أولا . وكانت أواخر الاربعينات قد أحدثت ثغرة هائلة في الثورة العربية ، حين تمكنت الصهيونية العالمية ، بمعونة دول الاستعمار العالمي

الكبرى والفئات الرجعية العربية الحاكمة ، من تشريد الشعب العربي الفلسطيني من أرضه ووطنه واقامة اسرائيل في فلسطين قاعدة للاستعمار بشكليه القديم والجديد ، وانفتحت بهذه الثغرة جبهة جديدة في الثورة العربية . ثم ما كادت تنتهي الخمسينات حتى اتخذت الثورة العربية مضمونين متداخلين : مضمونا تحرريا وطنيا ، ومضمونا تحرريا اجتماعيا . بدأ هذا التحول في مضمون الثورة العربية منذ أعلن جمال عبد الناصر ، تأميم قناة السويس ، وما تلاه من احداث العدوان الاستعماري الصهيوني على مصر عام ١٩٥٦ ، وانتفاضة الشعب اللبناني ضد مبدأ ايزنهاور عام ١٩٥٨ ، وثورة ١٤ تموز العراقية في العام نفسه .

هكذا اتصل تاريخ الكفاح التحرري العربي قديمه وحديثه ، وهكذا كانت تتعدد جبهاته ، مرحلة فمرحلة ، ولكن معركة الحرية بقيت ، في بلاد العرب كلها ، معركة واحدة ، مترابطة ، متواصلة ، متعاونة ، لا تنفصل منها جبهة عن جبهة ، ولا يكافح خلالها شعب عربي منفصلا عن سائر الشعوب العربية .

- ٣ -

لم تكن الثورة العربية هذه ، يوما قط ، في معزل عن الثورة التحررية العالمية ، ولا سيما الثورة الافريقية الاسيوية التي لا تزال في امتدادها وتطورها العاصفين .

لقد كانت حركة التحرر العربية ، بمختلف مراحلها وتطوراتها ، على صلة بتيارات التحرر العالمية ، منذ بدأت تهب هنا وهناك ، منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر حتى هذه السنوات من النصف الثاني للقرن العشرين . أما الثورة التحررية في القارتين الافريقية والاسيوية اللتين تدخل البلاد العربية في خارطتيهما معا ، فكان التفاعل بينها وبين الثورة التحررية العربية قائما ناميا باستمرار حتى أيامنا هذه .

ومن المصادفات التاريخية ذات المغزى الواقعي ان اول تعبير عن هذه الصلة الطبيعية بين حركة التحرر العربية من جهة وحركة التحرر الافريقية الاسيوية من جهة ، انما ظهر في الادب العربي ذاته قبل أن يظهر بأي شكل اخر من أشكال التضامن بين الحركتين . مثلا : حين كانت حرب البوير دائرة بين شعب افريقي يدافع عن حريته في أرضه وبين أوروبيين مستعمرين يشهرون السلاح في وجه هذا الشعب الافريقي المناضل ، كان هناك في القاهرة كاتب لبناني ، هو فرح أنطون ، يكتب في مجلته « الجامعة » الصادرة في القاهرة يومئذ ، سلسلة مقالات ينتصر فيها لشعب البوير ضد المستعمرين الاوروبيين . كان ذلك في أواخر القرن التاسع عشر . وحين نشبت الحرب بين اليابان وروسيا القيصرية عام ١٩٠٥ ، وكانت اليابان الاسيوية تقاوم الجيش القيصري ببسالة وتنتصر عليه ، بادر الادباء العرب الى التعبير عن موقف التضامن مع الشعب الاسيوي الناهض ، وكتب « شاعر النيل » ، حافظ ابراهيم ، قصيدته المشهورة بعنوان « فتاة اليابان » التي عبر بها عن ابتهاجه بانتصار اليابانيين يومئذ ، مشيدا بنهضة هذا الشعب الاسيوي .

كان ذلك في الوقت الذي لم تشتعل ، بعد ، فيه ثورة التحرر الافريقية الاسيوية الشاملة المعاصرة . ولكن هذه الثورة ما كادت تظهر في القارتين ، بعد الحرب العالمية الثانية ، حتى أخذت مبادرات التواصل والتفاعل بينها وبين حركة التحرر العربية ، تبرز بصورة متنوعة كان أبرزها تلك الصورة التي تبدو ملامحها واضحة في أدبنا العربي الذي كان يتأثر بكل انتفاضة وطنية تحررية في بلدان القارتين . فقد تغنى الادباء العرب ، مثلا ، بانتفاضة الشعب الهندي ضد الاستعمار البريطاني ، أيام زعامة غاندي ، اذ ظهر الكثير من قصائد الشعر العربي ، في لبنان والعراق ومصر وسورية ، وظهر الكثير من المقالات والقصص في تمجيد هذه الانتفاضة . وكذلك تأثر الادب العربي ، ومنه اللبناني ، بحروب التحرير الاسيوية الافريقية كلها ، ولا سيما حرب فيتنام البطلة في الوقت الحاضر .

وحين ظهرت أولى مبادرات التضامن بين شعوب القارتين في مؤتمر « نيودلهي » عام ١٩٥٤ ، كان الشعب العربي ممثلا في هذا المؤتمر الاول بمصر الثورة (ثورة ٢٣ يوليو) ، ثم جاء مؤتمر « باندونغ » عام ١٩٥٥ ، فاذا الشعب العربي يتمثل فيه بشكل أوسع فأوسع ، وكان وطننا لبنان بين البلدان العربية التي شاركت في هذا المؤتمر الذي كان الانطلاقة الكبرى لحركة تضامن شعوب القارتين الثائرتين ، ومن ذلك الحين اندمجت حركة التحرر العربية اندماجا عضويا في حركة التحرر الافريقية الاسيوية ، اذ أصبحت عضوا دائما وفاعلا في مختلف المؤتمرات والاجتماعات التي عقدتها حركة التضامن الافرو أسيوية ، من المؤتمر الاول للقانونيين الافريقيين الاسيويين عام ١٩٥٧ ، الى المؤتمر الاول لتضامن شعوب القارتين في ديسمبر من العام نفسه ، والى المؤتمر الاول للكتاب الافريقيين الاسيويين في طشقند عام ١٩٥٨ ، ثم المؤتمر الثاني في القاهرة عام ١٩٦٢ ، والمؤتمر الاول للشباب الافرو أسيوي عام ١٩٥٩ الخ ...

- ٤ -

هذا عرض تاريخي سريع لمراحل الكفاح الوطني العربي في العصر الوسيط وفي العصر الحديث ، ولمراحل التلاقي والاندماج العضوي بين كفاح العرب وكفاح شعوب القارتين الثائرتين ، فكيف كان انعكاس هذا الكفاح في الادب العربي بعامة ، وفي الادب اللبناني بخاصة ؟

اذا نحن رجعنا ، من جديد ، الى تاريخ النضال العربي في سبيل الحرية ، لنقف عند كل مرحلة من مراحله ، وعند كل جبهة من جبهاته ، وجدنا مكان الادب العربي والادباء

العرب ، ومنهم أدباء لبنان ، يبرز في قلب المعركة وعلى جناحيها دائما ، ولو ان مجال هذا التقرير يتسع للسرد والتفصيل لرأينا مع كل مرحلة ومع كل جبهة وكل حدث نضالي أدبا عربيا يحمل طابع النضال في هذه المرحلة وهذه الجبهة وهذا الحدث ، ولرأينا أيضا تضامنا عفويا بين أدباء البلاد العربية في التعبير المشترك عن كل نضال وطني يبرز في هذا البلد العربي أو ذاك ، تدل هذه الظاهرة على شعور تلقائي عفوي عند هؤلاء الادباء ، من أي بلد عربي كانوا ، بأن انتماءاتهم الاقليمية ليست الا انتماءات جزئية بالنسبة الى الانتماء الكلي العربي المشترك بينهم جميعا .

لن نرجع الى تاريخ بعيد . يكفي أن نبدأ من النقطة التي انطلقت منها ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حركة النهضة الفكرية العربية التي كانت هي ، بدورها ، منطلق الكفاح العربي التحرري في العصر الحديث .

ان لهذه النهضة الفكرية قصة تبدأ منذ بدأت السلطات الحاكمة ، وهي سلطات استعمارية أجنبية في أكثر الاحيان ، تصب نار حقدها الاسود على أول مفكر عربي هتف باسم الحق والحرية . كان تلامذة جمال الدين الافغاني المنتشرون في معظم الاقطار العربية ، حينذاك ، من أكبر حلقات هذه القصة وأبرزها ، وفيهم المسلم والمسيحي ، وفيهم المصري والسوري واللبناني والعراقي . . ومن هذه القافلة الفكرية والادبية المناضلة : الشيخ محمد عبده ، قاسم أمين (مصر) ، عبد الرحمن الكواكبي (سورية) ، فرح أنطون ، أديب اسحق (لبنان) .

ويستمر الموكب الطويل في مسيرته الكفاحية ، وتلمع في سجل النضال التحرري أسماء جديدة من أهل الفكر والادب في كل مرحلة ، فهذا الشاعر محمود سامي البارودي يظهر مع ثورة عرابي في مصر ، والشاعر حافظ ابراهيم مع ثورة مصر أيضا سنة ١٩١٩ ، وأحمد شوقي مع أحداث الكفاح العربي أينما حدثت ، والزهاوي والرصافي والشبيبي (العراق) مع كل انتفاضة عربية أينما كانت ، وخليل مطران (لبنان) مع مطامح التحرر في أي مظهر عربي ظهرت .

وفي الفترة الاولى من هذه النهضة الفكرية التحررية ، سطع في أرض لبنان أسماء مفكرين مكافحين أحرار ، أمثال المعلم بطرس البستاني الذي كافح الفتنة الاستعمارية الطائفية عام ١٨٦٠ ، وأحمد فارس الشدياق الذي أنار طريقا واضحا للنضال بوجه المستبدين ، والى جانبهما طليعة فكرية وأدبية وضعت للثقافة العربية الحديثة أسسها الوطنية المتحررة من العقد الاجنبية .

وأثناء الحرب العالمية الاولى ترتفع على أعواد المشانق ، في ساحات بيروت ودمشق ، أعناق شهداء العرب من اللبنانيين والسوريين المناضلين في سبيل استقلال البلاد العربية عن الامبراطورية العثمانية ، ومعظم هؤلاء الشهداء من المفكرين والكتاب والشعراء ، أمثال الشيخ أحمد طبارة ، وسعيد عقل ، وعبد الكريم الخليل ، وعمر حمد الخ . .

قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها نبغ في لبنان أدباء يحملون راية التحرر من الاقطاعية السياسية والطائفية والاجتماعية ومن الاستبداد والظلم بمختلف أشكالهما ، أمثال جبران خليل جبران ، وأمين الريحاني الذي هتف بالجماهير العربية قائلا :

« ان أنوار العالم القديم على وشك الانطفاء كلها ، فتيقظوا وراقبوا المصابيح الجديدة ، وسيروا في مقدمة المستنيرين بأنوارها » ، وهو امين الريحاني — الذي فضح عيوب الديمقراطية الاميركية المزيفة بوضوح وجرأة ومنطق . ثم يأتي من أصوات الادباء اللبنانيين المهاجرين في اميركا الشمالية صوت ميخائيل نعيمة الذي اكتوى بنار الحرب وعرف فجائعها بنفسه ، حاملا أناشيد السلام والحرية .

وعرف لبنان في تلك المرحلة ذاتها شعراء تغنوا ، في شعرهم ، بمطامح شعبنا التحررية أمثال أمين ناصر الدين ، وأمين تقي الدين ، وعادل أرسلان ، وأديب مظهر ، وبشارة عبد الله الخوري ، والشيخ سليمان ظاهر الى جانب جماعة من المفكرين العاملين في حقل النهضة السياسية والاجتماعية والفكرية أمثال عبد الحميد الرافعي ، والشيخ أحمد رضا ، والشيخ أحمد عارف الزين صاحب مجلة « العرفان » ، وعارف النكدي ، والشيخ حسن الاسير ، والشيخ مصطفى الغلاييني ، ونقولا فياض ، والشيخ أحمد عباس الازهري وغيرهم . .

— ٥ —

في سياق تاريخ النهضة العربية الحديثة ، قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها ، عرفنا الحركة الادبية والثقافية تنطلق من واقع الحركة الوطنية التحررية . بل يصح القول ، بكثير من اليقين ، ان النهضة الادبية كانت فاعلة في الحركة الوطنية أكثر منها منفعلة بها ، وقد لا نكون بعيدين عن الحقيقة اذا قلنا ان أهل الادب والفكر كانوا هم قادة تلك الحركة وروادها الاوائل . فان معظم الذين أسهموا في الحركة السياسية وفي الجمعيات السرية العاملة في سبيل تحرير البلاد العربية من الاستعمار التركي العثماني ، كانوا من قادة النهضة الفكرية والادبية . وبالرغم من ان هؤلاء القادة الاحرار كانوا ينتمون الى عدة بلدان عربية ، فان اللبنانيين منهم كانوا كثيرين بنسبة عالية .

والملاحظ ان حركة الادب العربي بصورة عامة واللبناني بصورة خاصة ، كانت في تلك المرحلة وما سبقها ، تعبر عن مطامح الحرية لدى الشعب العربي بطريقة عضوية وعاطفية ، يغلب على بعض أقطابها طابع رومانطيقي ، ولكنه منبثق من احساس هؤلاء الاقطاب بما يتحرك في أعماق النفس العربية الجماهيرية من تطلعات الى الخلاص من الكابوس الاستعماري الطويل الامد ، والى الانتفاضات

الفجائية التي ينتظر منها أن تحقق الخلاص ذات حين .

وحين ظهرت الحركات العربية المسلحة ضد السلطة العثمانية ، أثناء الحرب الكبرى الاولى ، في الحجاز ثم العراق ، ثم سورية ، شارك فيها أدباء ومثقفون أخذت تبرز في أعمالهم الادبية روح الثورة بصورة جديدة ، وكان منهم في لبنان شعراء وكتاب ورجال صحافة شاركوا في أعمال مادية ملموسة ، وقد أشرنا الى بعضهم في ما سبق.

- ٦ -

في فترة ما بين الحربين العالميتين ، الاولى والثانية ، تغيرت صورة الكفاح التحرري العربي الى كفاح المستعمر الجديد ، الفرنسي والبريطاني والايطالي ، فنبت في الارض العربية أدب جديد خلقته المعركة الجديدة التي قابلت الغرب الاستعماري وجها لوجه ، اذ نشأ في لبنان مثلا أدباء من الشبان تحركت مواهبهم الادبية على صدى النضالات العربية هنا وهناك ، وهزت مشاعرهم الوطنية أصداء الثورة السورية المسلحة ضد الفرنسيين عام ١٩٢٤ – ١٩٢٥ . ولكن اشتداد الارهاب الاستعماري الفرنسي في لبنان ، بعد الفشل الذي أصيبت به تلك الثورة الباسلة ، جعل ادب هؤلاء الشبان يعاني الكبت والتمزق الداخلي ، ويستخدم أحيانا أساليب الرمز والايماء للتحايل على السلطات الاستعمارية .

في هذه المرحلة برز كاتبان لبنانيان من طراز خاص ، كلاهما ساخر ، وكلاهما مشبع الفكر والذوق بثقافة عربية وثقافة غربية فرنسية أدبية ، وكلاهما متصل بجذور شعبية عميقة ، أحدهما مارون عبود ابن القرية الجبلية ، وثانيهما عمر فاخوري ابن أحد الاحياء الشعبية المعارضة للاحتلال الفرنسي في العاصمة بيروت . مارون عبود كاتب مجد روح الاستقلال في شعب الريف اللبناني . وعمر فاخوري بدأ عهده الادبي في عزلة عن حركة الجماهير الشعبية ، ثم ارتبط بهذه الحركة أثناء الحرب العالمية الثانية ، والتزم الادب الكفاحي بوعي وحرارة وصدق حتى صار صاحب مدرسة في الادب السياسي التحرري الرفيع المستوى من الوجهة الفنية . وظهر بين الكاتبين نشاط أدبي متجدد الفكر والروح والاسلوب على أيدي جماعة سموا أنفسهم بـ « عصبة العشرة » كان بينهم الشاعر المبدع الياس أبو شبكة الذي لم تستطع نزعته الرومانطيقية أن تقضي على توثبه الوطني ، فكتب الى جانب أشعاره الذاتية أشعارا تتغنى بالحرية ، وترمز الى مطامح الشعب في التحرر والكرامة الوطنية .

أثناء هذه المرحلة بين الحربين ، كانت تعبر من وراء المحيط الاطلسي ، من بعض بلدان اميركا اللاتينية ، الى بلاد العرب ، والى لبنان بالخصوص ، قصائد مشحونة بالعواطف الوطنية التحررية ، تمجد الثورة العربية ، وتقذف حمم الغضب والحقد النبيل على المستعمرين وأعوانهم المحليين ، من رجعيين وانتهازيين . كانت قصائد « الشاعر القروي » ، وهو رشيد سليم الخوري ، المهاجر من وطنه لبنان الى البرازيل ، نموذجا حيا لتلك الاناشيد الحارة العابرة من وراء المحيط . وفي الوقت نفسه كان في لبنان فريق من الكتاب والادباء التقدميين أمثال المناضل فرج الله الحلو والشاعر رئيف خوري ، يشاركون في حركة المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي في سبيل استقلال لبنان والبلدان العربية الاخرى . في حين كان الشاعر الجواهري في العراق ، وخير الدين الزركلي في سورية ، وابراهيم طوقان في فلسطين ، وأمثالهم في مصر والسودان ، يثيرون بقصائدهم الوطنية حماسة الجماهير العربية في كل قطر من أجل القضية المشتركة .

لا ندعي ان الادب في لبنان كان كله نضاليا يعكس حركة التحرر الوطني الشعبية ، بل كان هناك صراع بين نوعين من الادب ، في هذه المرحلة الهامة : نوع يخوض المعركة الى جانب الشعب ، ونوع يعتزل المعركة بمختلف الاعذار والمبررات . ولكن المعركة ذاتها فجرت أدبا كفاحيا ناشئا في المناطق اللبنانية وفي العاصمة ، اذ ظهر مثلا اسم الشاعر موسى الزين شرارة وعبد الحسين عبد الله الحوماني في جنوب لبنان ، واسم عمر الرافعي وسابا زريق في شماله ، واسم أديب الزهيري في بيروت ، وأمثالهم .

- ٧ -

في اخريات الحرب العالمية الثانية ، في الاربعينات ، كانت الحركة الوطنية الاستقلالية تنضج وتقوى وتمتد في لبنان ، كما في سائر بلاد العرب . وتعاقبت الاحداث الهامة على هذا الصعيد . ففي ما بين ١٩٤٣ و ١٩٤٥ انتصر لبنان وسورية على المستعمرين وحلفائهم في معركتي الاستقلال والجلاء العسكري الاجنبي ، وشارك الادب هنا في النضال المنتصر ، وظهر بين الادباء الوطنيين اسم الشيخ عبد الله العلايلي ، والبير أديب صاحب مجلة « الاديب » التي جمعت حولها ، ذلك الحين ، فريقا كبيرا من الادباء الوطنيين ، الى جانب عمر فاخوري ورئيف خوري اللذين تقدم ذكرهما ، وكان قد ظهر اسم الدكتور جورج حنا ، والدكتور عمر فروخ ، والدكتور علي سعد ، وعبد اللطيف شرارة ، ومنير تقي الدين في كتابه « بين الاحتلال والاستقلال » ، ومحمد النقاش .

وفي عام ١٩٤٨ حدثت المؤامرة الاستعمارية التي أنشأت اسرائيل قاعدة للاستعمار العالمي في قلب البلاد العربية ، فلسطين . أثارت هذه المؤامرة الرهيبة موجة جديدة من التفجرات الادبية في قلب المعركة الجديدة . فلما جاءت الخمسينات كان في لبنان صف طويل من الادباء الوطنيين القدامى والجدد الذين دخلوا المعركة هذه .

لقد حملت الخمسينات الى العالم العربي احداثا

كبارا هزت مشاعر الكتاب والشعراء اللبنانيين ، كغيرهم من الادباء العرب ، وأيقظت فيهم وعيا جديدا لابعاد المعركة وآفاقها . وكان من نتاج ذلك أن تنادى الكتاب العرب ، من كل أقطارهم ، الى التجمع والتكتل في مؤتمرات واسعة النطاق . حدث ذلك لاول مرة في تاريخ الادب العربي المناضل . كان التلاقي بينهم قبل هذه المرحلة يتخذ صورته العفوية وحدها . أما في الخمسينات فقد اتخذ صورة واعية تقصد الى التنظيم الواعي . بدأ التجمع على هذه الصورة عام ١٩٥٤ ، اذ انعقد مؤتمران اثنان في هذا العام نفسه : أحدهما « مؤتمر الادباء العرب الاول » الذي انعقد في المصيف اللبناني « بيت مري » ، وكانت قضية « الحرية » الموضوع الاول والاهم الذي عالجه هذا المؤتمر ، ولكن المعالجة كانت متناقضة الاتجاهات ، بين ليبرالية ذات نزعة أكاديمية خالصة تتعمد الابتعاد عن أحداث الواقع العربي وتطوراته السياسية والاجتماعية ، وبين اتجاه وطني تحرري . ولكن برغم هذا التناقض بين الاتجاهين ، استطاع فريق من الكتاب الوطنيين اللبنانيين والسوريين وغيرهم ، ومنهم الدكتور سهيل ادريس الكاتب الروائي اللبناني ، والدكتور كامل عياد المفكر التقدمي السوري ، أن يوجهوا روح المؤتمر ، وسط الصراع العنيف ، وجهته الوطنية الى الحد الممكن ، وأصدرت مجلة « الاداب » اللبنانية التي كان الدكتور ادريس أحد أصحابها يومئذ (استقل بها منذ عام ١٩٥٥) ـ أصدرت عددا خاصا بأعمال المؤتمر أبرز الجانب الوطني الايجابي منه .

أما المؤتمر الاخر الذي انعقد في العام نفسه (١٩٥٤) بمبادرة من « رابطة الكتاب السوريين » ، فقد انعقد باسم « مؤتمر الكتاب العرب » في دمشق ، وحضره نحو أربعة وعشرين كاتبا ومفكرا واديبا من لبنان ، في مقدمتهم المفكر الاديب الكبير الشيخ عبد الله العلايلي ، والكاتب القاص الناقد مارون عبود ، والشيخ أحمد عارف الزين صاحب مجلة « العرفان » اللبنانية الوطنية ، والدكتور علي سعد الشاعر الناقد ، وبينهم الشاعر الفنان رضوان الشهال ، والدكتور علي شلق ، والكاتب أحمد سويد ، والشاعر حبيب صادق ، والقاص محمد عيتاني ، والقاص محمد دكروب ، وكاتب هذا التقرير وغيرهم .

تضمن جدول أعمال هذا المؤتمر ثلاثة أقسام : أدبي ، وسياسي ، وتنظيمي . تناول القسم الادبي : قضية الادب الجديد وتحديد معنى الجمالية والواقعية فيه ، وموقف الادباء من التيارات الفكرية المختلفة ، وتحقيق التاريخ العربي وفق المنهج العلمي ، والدفاع عن الثقافة الوطنية ضد الثقافة الاستعمارية وغير ذلك . وتناول القسم السياسي : قضية الحرية وعلاقتها بالفكر ، حرية الراي والنشر والاجتماع ، والدفاع عن الكتاب العرب ضد الاضطهاد ، وموقف الادباء من القضايا الوطنية والعالمية وقضية السلام العالمي .

لقد تطورت فكرة مؤتمرات الادباء العرب ، اذ تخلصت من الترددات الليبرالية والانعزالية ، وانصهرت في حركة التطور الوطني العربي والعالمي معا ، بفضل تطور الاحداث الوطنية والعربية ، لا سيما تطور الثورة المصرية (ثورة ٢٣ يوليو) بمواقفها الحازمة الحاسمة تجاه الاستعمار والاستعمار الجديد ، وبفضل نهوض الحركة الديمقراطية الوطنية في سورية بعد عام ١٩٥٤ .

في ضوء هذه الاحداث انعقد المؤتمر الثاني للادباء العرب في مصيف « بلودان » بسورية (سبتمبر ١٩٥٦) . فكانت طبيعة القضايا التي عالجها انعكاسا حقيقيا للتطورات العربية بعد عامين اثنين من انعقاد المؤتمر الاول . لكأنما الزمن مشى جيلين كاملين بين مؤتمر بيت مري في لبنان ومؤتمر بلودان في سورية . فقد جاء المؤتمر الادبي الثاني ليؤكد ان التلاحم بين حرية الاديب وحرية شعبه أصبح قضية بدهية لا جدال فيها ، وليؤكد أيضا أن قضية العرب ووحدة النضال التحرري العربي قد تجمعت لها أسباب الوضوح والتكامل . ذلك ان هذا المؤتمر جاء في الوقت الذي تعاقبت فيه الاحداث العربية ، في مصر والسودان ، وفي الاردن وسورية ولبنان ، وفي معارك النضال البطولي في المغرب العربي ، وفي الجزائر بالاخص ، ثم في جنوب الجزيرة العربية وشرقها . جاء هذا المؤتمر وقد تكاملت الوحدة الشعورية النضالية بين الشعوب العربية ، فانصهرت فيها الخلافات والاتجاهات والمذاهب الفكرية والادبية والاجتماعية والسياسية ، عدا بعض الانحرافات الرجعية والانتهازية .. كان التمثيل واسعا وشاملا في هذا المؤتمر ، وكان الكتاب الوطنيون والتقدميون مشاركين فيه بفعالية بارزة ، وأصدرت مجلتان لبنانيتان هما « الآداب » و « الثقافة الوطنية » عددين خاصين بالمؤتمر . وقد نوه وزير المعارف السورية يومئذ بكلمته أثناء افتتاح المؤتمر بمواقف لبنان الوطنية ، قائلا : « فمن لبنان العربي انبعثت أنوار النهضة العربية الاولى ، وسيظل لبنان العربي مصباحا من مصابيح الفكر » .

عالج المؤتمر قضايا شاملة منسجمة مع قضايا التحرر الوطني الشامل يومئذ في حياة العرب ، وأصدر توصيات هامة تؤكد هذا الانسجام ، ووجه نداء عاما الى الادباء والمفكرين في العالم يهيب بهم أن يقفوا مع أدباء العرب في نضال أمتهم العادل من أجل اعادة الارض المغتصبة الى الشعب العربي المشرد عن فلسطين ، ومن أجل وقف حرب الابادة الاستعمارية في الجزائر (قبل استقلال الجزائر) ، ومن أجل تحرير بقية أجزاء البلاد العربية ، ومن أجل أن تواصل الامة العربية العريقة مساهمتها الفعالة والمثمرة في اثراء الحضارة والمعرفة الانسانية .

وانعقد المؤتمر الثالث للادباء العرب (ديسمبر ١٩٥٧) في القاهرة ، اذ جدت ظروف جديدة مشحونة

ـ التتمة على الصفحة ١١١ ـ

حركة التحرر الوطنـــي اللبناني

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١١ ـ

بطاقات ثورية عربية وعالمية ضخمة كانت فيها حركـــات التحرر الوطني الافرو آسيوية تتعاظم وتحقق انتصـــارات رائعة ، وكانت مصر قد خرجت من معركة قناة الســـويس ظافرة ، حتى صارت مركزا من أهم مراكز الكفاح التحرري لا في بلاد العرب وحدها ، بل فـــي القارتين الناهضتين جمعاء . لذلك سجل المؤتمر الثالث هذا نجاحا باهرا في معالجة قضايا الثقافة والادب في ضوء الاحداث العربيـــة والعالمية ذات الصـــلة بكفاح شعـــوبنا ضد الاستعمار والاستعمار الجديد .

وفي هذا المؤتمر شارك أدباء لبنان بمثل الحيويـــة الكفاحية نفسها في ما سبق مـــن مؤتمرات ، وشـــاركت بابراز أهميته صحافة لبنان الادبية (مجلة «الاداب» للدكتور سهيل ادريس ، ومجلة « الثقافة الوطنية ») .

ـ ٨ ـ

أثناء معركة قناة السويس ضد العدوان الاستعماري الصهيوني المثلث (نوفمبر ١٩٥٦) ، فتح الكتاب اللبنانيون الوطنيون جبهة كاملة في لبنان تضامنا مع الشعب المصري وثورة ٢٣ يوليو وقيادتها المناضـــلة . لقد تنادوا الـــى اجتماعات في دار مجلة « الاداب » حضرها كتاب وفنانون من مختلف البلدان العربية ، ووجهوا الى جميع الكتـــاب والمثقفين والفنانين في جميع أنحاء العالم نداء يطلبون منهم تأييد القضية العربية المتمثلة يومئذ بقضية مصر المكافحة ضد العدوان ببسالة مشهودة ، وتابـــع الكتاب اللبنانيون الدعوة الى نصرة الكفاح المصري بكتاباتهم في الصحافـــة اللبنانية السياسية والادبية .

ـ ٩ ـ

وثب الشعب اللبنـــاني ، عام ١٩٥٨ ، وثبة وطنية تحررية مسلحة ضد مبدأ ايزنهاور والحكام الذين أرادوا يومئذ ربط مصير لبنان بارادة الاستعمار الاميركي وقواعده العسكرية وأحلافه الحربية العدوانية . كان الادباء اللبنانيون الوطنيون ، طوال شهور الوثبة هذه ، في قلب المعركة مع شعبهم ، يشاركون بالسلاح والاقلام والاذاعة الخاصـــة بالحركة الوطنية ، وكان بعضهم يكتب يوميا في الصحافة اليومية المؤيدة للوثبة ، يعكسون مطامح الحرية في جماهير المعركـــة ، وينيرون أذهان المناضلين بالوعي ويشدون سواعدهم للثبات .

كانت جماهير المعركة تطالع كل صباح كلمات الوطنية الواعية من أقلام : سهيل ادريس ، منير بعلبكـــي ، أحمد سويد ، أمين الاعور ، محمد النقاش ، كامل العبد الله ، محمد عيتاني ، محمد دكروب ، حسين مروة وغيرهم ، وكان الكاتب المفكر المناضل كمال جنبلاط على رأس جبهة مسلحة من جبهات المعركة في منطقته .

لا بد من القول اخيرا ان الاسماء الادبية التي ذكرت خلال هذا التقرير ، لم تذكر الا على سبيل المثال ، فهنـــاك أسماء غيرها كثيرة يصعب حصرها .

ـ ١٠ ـ

في السنوات التي انقضت حتى الآن من الستينات ، دخلت حركة الادب في لبنان عوامل جديدة ، في ظروف التطور الجديد الذي بلغته حركة النضال التحرري العربي ، اذ تداخلت في هذا النضال مرحلتا التحرر الوطني والتحرر الاجتماعي ، وحدثت تحولات أساسية في التفكير العربي تبعا للتحولات الثورية في كل من الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية ، والجمهورية الجزائريـــة المستقلة ، وجمهورية ١٤ تموز العراقية ، وثورة اليمـــن الجمهورية ، بالاضافـــة الى تطور حركـــة التضامن الافرو آسيوي والبلدان النامية في القارتين الناهضتين ، وقضية فيتنام الباسلة في كفاحها العـــدوان الاستعماري الاميركي السافر ، وتطور التضـــامن العالمي في سبيـــل مناهضة العدوان ومن أجل حرية الانسان وسلام العـــالم وصيانة الحضارة البشرية .

لقد اتجه الادب في لبنان ، خلال هذا التطور كله ، الى الالتزام بقضايا الانسان المصيرية الكبرى ، وانضوى الى الدفاع عن هذه القضـــايا كثير من الكتاب والشعراء الموهوبين والبارزين ، نذكر في طليعتهم الشاعر أدونيس .

لقد نال عقـــد المؤتمر الثالث للكتاب الاسيويين الافريقيين في بيروت عاصمة لبنان ، نوعا من الترحيـــب الاجماعـــي لدى الكتاب والمفكـــرين والمثقفين اللبنانيين ، ونالت اللجنة التحضيرية اللبنانية المعونة والتأييد مـــن مختلف الاوساط الفكرية والادبية والثقافية والصحافية في لبنان . وليس تأييد الدولة اللبنانية ومساعداتها الهامة في سبيل عقد المؤتمر في عاصمتنا ، الا انعكاسا لهـــذه الحقيقة التي نذكرها باعتزاز .

ان المؤتمر الثالث للكتـــاب الافريقيين الاسيويين ، بانعقاده في هذه العاصمة الجميلة العريقـــة ، سيزيد من توثيق اللحمة الروحية بين قضايانا المصيرية المشتركة ، وسيفتح آفاقا مشرقة لانتصارات أدبية وفكرية وثقافيـــة مستمدة من انتصارات شعوبنا في سبيل الحرية والسلام والتقـــدم .

حسين مروه